31

مـزهـريـة

حين جاء الربيع ولاحت تباشيره، تفتحت الورود والأزهار وبدتْ في ثوب بديع من صنع الواحد الخلاق.. جلس في حديقة منزله يتنسّم نفحات عبادة التفكر مقلبًا ناظريه بين صفحات تلك الأزهار مبتهجًا، ولسانه يلهج بالتسبيح والحمد والثناء.. سبحان الله.. ما أجمل هذه الزهور التي تملأ الجو جمالاً وبهجة وسرورا، قام إليها ليقطف بعضًا منها ليضعها في المزهرية حتى يقدمها لزوجه هدية، فما أجمل هدية الزهور! لكنه سرعان ما انتبه وهو في سكرة التأمل ليرى ظل زهرة قابعة في أحد أطراف الحديقة، وحيدة قعيدة، منعزلة نائية، في طريقها للذبول، أوشكت أو كادت تموت! دفعه فضوله لنوع آخر من التفكر.. سبحان الله! لماذا شذّتْ هذه الزهرة عن صويحباتها وأبتْ أن تنشر شذاها، ولماذا هي ذابلة شاحبة؟! هل عبث بها عابث، أم أن يد الآفات والأمراض امتدت إليها وأصابتها في مقتل فأبدلتها شحوبًا بعد ازدهار، وذبولاً بعد اخضرار؟! هل هي جائعة ظمأى، أم أن عوامل المناخ المتغير من حولها أثّرت في قوتها فأضعفتها؟ عاود التأمل مرارًا وتكرارًا وهو يتساءل لماذا هي مختلفة عن غيرها ضعيفة ذابلة؟ أهي الأرض التي نشأت بين ذراتها، ونمت بذرتها وترعرعت في أحضانها، هل فسد هواؤها وجف نبعها وضعفت تربتها فألبستها لباس الضعف والخور والخمول والمرض بدلاً من لباس القوة والحياة؟! ليكن ذلك كله أو بعضه هو السبب.. فالنتيجة واحدة.. هي ذبول زهرة في فصل الربيع، وانكسار غصن بديع!

لَهْفِي على تلك الزهرة الذابلة التي نراها كثيرًا أمام أعيننا كل يوم.. فهل رأيت يومًا المزهرية ذات الطلعة الجميلة والزهور الندية.. وهل نظرت إليها حين ترتب زهورها بتفكر ورويّة؟ إن هذه المزهرية بزهورها الجميلة لتذكرنا بربيع العمر ومرحلة الشباب المباركة التي تبدو بهيجة كتلك الزهور التي تنبض بالحب وتوحي بالإعمار والحياة ما نالت الحفظ والعناية.. أما إذا أهملت وتُركت بلا ريّ أو حماية فحينها نخسر كثيرًا، فتنتكس الفطرة وهي في أوج حاجتها إلى الاستقامة، وحينها نفقد زهورًا تذبل قبل أوانها، وتتساقط أوراقها صرعى بأيدينا، فلا نحن سعدنا بجمالها وروعتها وشذاها، ولا نحن جنينا من رحيقها عسلاً فيه شفاء للناس.

إن الشباب هم رحيق هذه الأمة وعطرها الفواح، وهم زينة هذا الوجود وزهوره المتفتحة.. ومجتمع بلا شباب صالح كحديقة بلا زهور، وإن كان للزهور مواسم للتفتح والظهور خاصة في الربيع، فإن للعمر مواسم للعمل الجاد والعطاء السخي والقوة في الإنتاج تتمثل في الشباب.. وإن كانت الزهور تذبل بعد أن تعطي عطرها وتهب بهجتها ورحيقها فإن قوة الشباب تضعف عادة عند المشيب.. ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم:54] .

قال **بن الجوزي** -رحمه الله-: **(يعني جعل بعد ضعف الطفولة قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر وشيبة)**.

وكلمة **"شباب"** تعني في أصلها اللغوي النماء والقدرة، وتبدأ مرحلة الشباب بالبلوغ.. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:59] .. وفي الحديث: **"رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل"** [1] .

(1) رواه الترمذي .

اهتم الرسول ﷺ بالشباب وخصهم بأحاديث كثيرة، ويرجع السرّ في الاهتمام بتلك المرحلة إلى أنها أهم مراحل العمر، إذ يتمنى الصغير أن يصل إليها، والكبير أن يرجع لها، وهي بداية التكليف، وفترة القوة، وأطول مراحل العمر إذا قيست بعمر الإنسان.. ففي الحديث: **" أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك"** [1] .

والشباب هم أمل هذه الأمة وجذوتها المتقدة لما أودع الله فيهم من القوة المزدوجة المتمثلة في قوة الروح وقوة الجسد، وبقدر ما نربي أولادنا في صغرهم على المفاهيم والأسس السليمة، وبقدر ما نغرس في نفوسهم العقيدة الصافية الصحيحة بعيدًا عن الشوائب الدخيلة نجني شبابًا قويًا محصنًا.. وكما يقول الأستاذ **محمد قطب** : **(الشباب قوة خطيرة إذا تجمع على هدف معين وأخذ هذا الهدف مأخذ الجد، ومن أجل ذلك كانت عناية الأعداء منذ وقت مبكر بتمييع هذا الشباب وبمحاولة إتلافه، وإشاعة التفاهة والانحلال في كيانه، كي لا يتجمع في يوم من الأيام على هدف معين ويأخذه مأخذ الجد).**

نعم.. فهم عماد الأمم، وإذا ما أحسنت تنشئتهم شبوا أقوياء في كل شيء.. في البدن والعمل وطلب العلم وسرعة الاستجابة، كما قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:13].

لذا كان على الوالدين أن يدركا أهمية هذه المرحلة من العمر فيعدا أولادهما الإعداد الطيب الذي يبدأ من مرحلة الطفولة لأن من شبّ على شيء شاب عليه، كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: **(إن الأولاد أمانة عند آبائهم، وإن قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لك نقش، فإن عودهم آباؤهم الخير نشئوا عليه، وإن عودوهم الشر نشئوا عليه، فينبغي أن يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم،**

(1) رواه الترمذي .

ويعلموهم محاسن الأخلاق، ويحفظوهم من قرناء السوء، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية، فتضيع أعمارهم في طلبها إذا كبروا)..

والوالدان هما القدوة الطيبة للأبناء استقامة وخلقًا، وسلوكًا وعملاً، وهما أكبر الناس أثرًا في حياتهم، لذا ينبغي أن ننتبه لذلك، ويعجبني هذا القول الصائب : ليست حاجتنا نحن الكبار إلى التربية بأقل من حاجة أطفالنا بل يجب أن تسبق تربيتنا تربيتهم، ومن أسف أننا لا نتعلم من براءتهم فنصلح وقد نعلمهم من أخطائنا فيفسدون .

لذا وجب علينا إصلاح أنفسنا لنكون مثالاً وأثرًا صالحًا لهم، على أن لا ننشغل بالعمل عن واجب تربيتهم، وألا تعطلنا المشاغل والمناصب وطلب العلم عن حقوق البنوة ومتطلباتها، فكلنا مسؤول عن رعيته، وكما قيل (**أعطني مربيًا ناجحًا، أعطك شعبًا حضاريًا ناضجًا**).

ولما كان شبابنا هم حاضر الأمة ومستقبلها يربطون ماضيها بحاضرها وجب علينا رعايتهم والنظر في شؤونهم ومعرفة ما يواجهون من تحديات شديدة في ظل نظام هذا العالم الجديد في عصر العولمة الذي أصبح فيه قرية صغيرة مكشوفة، وفي وقت أصبحت المغريات والشهوات تحيط بهم من كل جانب، والفتن العواصف تعصف بهم تحاول النيل من إيمانهم الذي إن لم يكن قويًا ثابتًا ثبوت الجبال الرواسي لانخلع من أفئدتهم.

كل ذلك يؤكد دور الأسرة، المجتمع الأول والمحضن الدافىء للأبناء، ويهيب بنا أن نحتضن شبابنا بإعطائهم الوقت الكافي للاستماع إليهم ومشاركتهم بعض الهوايات والأعمال، وعمل قنوات اتصال بيننا وبينهم تزيل الحواجز والجسور في العلاقة الأسرية، غير أنه من المؤسف والمخجل حقًا أن نجد بعض الآباء – والأمهات– يسيء استخدام حقه في التربية فيعقّ ولده من حيث لا يدري! فتجده يصيح في وجهه لأتفه الأسباب، وقد يستخدم بعض الألفاظ البذيئة في التعامل

معه، مما يجعل حلقة الاحترام بينهم مفقودة، فيقيم الدنيا ويقعدها متى أخطأ، ونسي أن الرفق في النصح يجعله مقبولاً، وأن الحكمة والموعظة الحسنة تفتح القلوب، أمَا نظر هذا الأب إلى حائك الثياب وهو يترفق بالثوب يسدّ خروقه بإبرته الصغيرة بصبر وعناء، ودقة وحنكة ليعيد منه ثوبًا نافعًا بعد إصلاح عيوبه!

وقد يعمد البعض إلى معاملة الشاب كطفل صغير يتلقى الأوامر دون رأي أو إقناع، وما علم أنه بذلك يقتل فيه روح الاستقلالية والاعتماد على النفس، فأين دفء الصداقة الأبوية الحنون، وأين نحن من السبل الوقائية والعلاجية في التربية كاستخدام الحوار والمناقشة واستماع الآراء، واتباع السبل الراقية في النقاش والإقناع مع ربط ذلك بالدين والواقع.. وكذلك المشاركة الأسرية وإشعار الشاب أنه عضو فعال في الأسرة مرغوب فيه وفي أعماله الطيبة، والمعاملة بالثقة والاحترام، مع عدم السخرية من إبداء رأيه وإن خالف رأي الوالدين، وحثّه على أن يكون عنصرًا فعالاً في المجتمع يشارك في إصلاحه والمحافظة عليه بأعمال الخير في مجالاته المختلفة.. ولا ننسى أهمية المصارحة والتواصل بين أفراد الأسرة حيث تكون فيها مساحة للبوح بمكنون القلب وما يعتلج فيه دون تعنيف أو صدود، وليس من الضروري أن يفعل الأبناء كل ما فعله الآباء من قبل بل عليهم الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم مع مواكبة العصر الذي يعيشون فيه دون تنازل عن جوهر المنهج الرباني الأصيل، ودون تصادم بين الجيلين..وهذا هو ما تنبه إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين قال: **(أحسنوا تربية أولادكم فقد خلقوا لجيل غير جيلكم)**.. وكأنه يشير إلى ما يحدث في حياة البشر من التغير في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فيقول **(أحسنوا تربية أولادكم)** أي اضبطوهم بالقيم الثابتة كي لا يحرفهم التغير فيحيدوا عن سواء السبيل. وهكذا نفهم أن المنهج أصله ثابت سواء في جيل الآباء أو جيل الأبناء أما التجديد والابتكار والارتقاء للأفضل في الفروع والجزئيات والذي يتطلبه العصر الذي

نعيش فيه الآن فمطلوب ما لم نتعرض لأصل منهجنا الثابت القويم، ويقتضي ذلك منا تحصين شبابنا بالعلم الشرعي فهو الدرع الواقي لهم في غمار هذه الحياة، والارتفاع بمستواهم العلمي في كل مناحي الحياة ليكون منهم العالم المسلم والطبيب الحاذق، والمعلم المخلص، والمهندس البارع، والباحث والمخترع والصحفي وغيرهم مما تحتاجهم الأمة فتصطبغ علوم الدنيا بالدين ويمتزجان معًا ويصبان في معين واحد، ألا وهو تحقيق الحياة الطيبة للبشرية جمعاء، وعلماء المسلمين خير دليل على ذلك.. وإذا خلصت النوايا وكان الهمّ كله لله جاءنا منه العون والمدد.

obeikandl.com

32

مُسَـــجّل

إنه شقيق الراديو وتوأمه الذي يأبى أن ينفصل عنه في أغلب الأحيان، وإذا نظرت إليه رأيته يفترش حجر الراديو كطفل رضيع يخشى فوات أمه له، وهو مع ذلك مستقل بنفسه يؤدي دوره المنوط به دون أدنى اعتراض، وما عليك إلا أن تلُقِم فاه الشريط الذي ترغب سماعه ثم تضغط على الزر الموكّل بترديد الكلام لتسمع ما تحب وتختار! إنه جهاز عجيب لكنه من صنع الإنسان الذي تعلم بإذن الله ما لم يكن يعلم.. وهو كالماعون ينضح ما فيه، وينطق بما سجل عليه بلا زيادة أو نقصان، والاختيار في هذا لك وحدك.

كان هذا الجهاز -وإن اختلف قديمًا- سببًا في حفظ الكثير من المواد المسجلة عليه وخاصة القرآن الكريم الذي تكرّم المسجّل بالمشاركة في وجوده بين أيدينا إلى الآن مسجّلاً كاملاً على أشرطة، ومع أن هؤلاء القراء قد مات منهم من مات إلا أن ذلك لم يمنع الناس من سماع تسجيلاتهم، إضافة إلى مساهمته الأكيدة في نشر مواد العلم الشرعي، وفروع المعرفة المختلفة، كما ساهم في نشر البديل الإسلامي من أناشيد إسلامية منوعة تغني محبي الطرب والغناء عن سماع الأغاني المختلفة المسجلة عليه أيضًا. ومع كل هذا فإننا لا ننفي مشاركة المسجل كذلك في تقديم المواد الأخرى النافع منها والضار على السواء، وكما قلنا فالاختيار للمادة من حق سامعه بالدرجة الأولى والمسئولية تقع على كاهله.

تطور جهاز المسجل وصارت منه أحجام مختلفة وأشكال متنوعة وأصبح غالب الناس يمتلكه، ورغم ظهور التلفاز والفيديو والدش والكمبيوتر إلا أن المسجل التحق بمعظم هذه الأجهزة أيضًا فتجد له نصيبًا فيها ومكانًا، ليتعدى

تسجيل الصوت إلى تسجيل الصوت والصورة معًا، وبكل الأحجام حتى أنه التحق بالهاتف المحمول الذي تحمله في جيب سترتك.

حينما ننظر إلى ذلك الجهاز الصغير لا بد لنا من وقفة تذكُّرٍ وتدبّر في حالنا، فتخيّل نفسك وأنت لا تدري حين يسير وراءك بالكاميرا الخفية مَن يَعُدّ عليك خطواتك ويحفظ أعمالك ويراقبك، وأنت عن كل ذلك غافل لاهٍ مشغول، ماذا لو عرض أمامك تلك الصور بما فيها من حلو الكلام ومرّه، ومن خير الأعمال وشرها، فهتك بذلك سترك، وكشف عورتك لمن تحب وتكره، أتكون سعيدًا بذلك؟

وهل كان حالك سيتغير إن كنت تعلم أنك مراقَب وأن خطواتك وأعمالك مسجلة عليك؟

بل ربما داعبك بعض رفقائك ودسّوا لك مسجّلاً صغيرًا أثناء حديثك معهم، فأحصوا عليك أنفاسك وسجلوا لك كلماتك من باب الدعابة والفكاهة!

أتكون راضيًا عن هذا الفعل ؟

هل أحسست يومًا وأنت تتحدث في الهاتف أن هناك من يتجسس علي مكالماتك، ويلتقط حروفها، ويحتفظ بها ويسجلها عليك، كما تطالب بهذا بعض الدول؟! إن ذلك بالتأكيد سيضايقك وينغص عليك حياتك ويؤرق نومك ويصيبك بالسهاد، ويتسبب لك في الحرج، أضف إلى ذلك حرمة هذا العمل التجسسي والتطفلي وعظيم جرمه من الإنسان لأخيه، ولا شك أنك إن أيقنت أنك مراقب فستعُدّ كلماتك عَدًّا، وسوف تحاسب نفسك قبل القيام بأي عمل، بل ستكون حريصًا غاية الحرص على أن لا تخطئ.

لذا فإن المسجّل يذكّرنا بأمر عظيم، ونِعمَ المذكّر هو، وكأني به يستصرخنا أن احذروا يا بني الإنسان، وليكن لكم مني العظة قبل فوات الأوان، فإنكم وما تعملون وتقولون مسجّلون عند الملك الديان، ألم تقرؤوا في القرآن الكريم قول الله

عز وجل ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 17-18] . وفي هذا يقول **الحسن البصري**: (يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا متَّ طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقال لك: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:14] ثم يقول: (**عَدَل والله فيك مَن جعلك حسيب نفسك**).

إذا ما استشعرنا بصدق ويقين أن معنا من يسجّل أعمالنا ويحصي علينا كلامنا، صار نطقنا ذكرًا، وازداد يقيننا بضرورة إصلاح أعمالنا، فكانت لنا عند الله ذخرًا.. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10 - 12] . ودفعنا ذلك لحب الخير والسعي لنشر الكلمة الطيبة بالحكمة والموعظة الحسنة دون أن نحقر من الخير شيئًا، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثقال ذرة .

فلينتق كل منا من الأعمال أصلحها ومن الأقوال أحسنها وليأخذ العبرة مما حوله ولو كان جهاز مسجل! حتى لا يأتي علينا وقت نجد في كتاب أعمالنا العمل الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، ويرى كل منا كتابه منشورًا لا يترك ذنبًا ولا عملاً صغيرًا أو كبيرًا إلا أحصاه وحفظه وضبطه، نسأل الله أن يلطف بنا. قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:49] .. نعم.. فالله تعالى هو الحكم العدل، وتسجيل الأعمال عدل إلهي حيث يجد المرء ما قدم دون غبن أو خسران، ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: **"يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"**[1] .

(1) رواه مسلم .

33

مِصباح

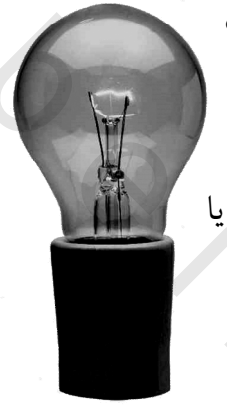

حين ننظر إلى المصباح المعلق في أعلى السقف أو المتدلي منه، وحين نرى الضوء المنبعث من المصباح بجانبنا نتذكر أشياء كثيرة.. نتذكر ضوء الشمس.. نتذكر نور الخير.. نتذكر عدل عمر.. ونرى مصباح البيت، ومصباح الجسم فنشكر ونقرّ.. يا ربي حمدًا لك .

والمصباح في اللغة: السراج.. وقد (**استصبح**) به: إذا أسرجه.

وقد ذكر (**المصباح**) في القرآن الكريم، كما ذكر في السنة المطهرة.. قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [النور:35] .

وقد ورد عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه".

وجاء في تفسير قوله تعالى (**المصباح في زجاجة**): ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن الذي أنار الله صدره فخلص من الكفر والشك. كماذكر ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره : شبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف.

ويبين لنا رسول الله ﷺ أنواع القلوب فيقول: "**القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب**

مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه"[1] .

والمؤمن صاحب القلب المنير بنور القرآن يتقلب في خمسة من النور كما قال **أبي بن كعب** ﷺ: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة.

السراج المنير: ورسول الله ﷺ ، جاءنا بالنور ودعانا إليه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب:45]. قال **الزمخشري**: شبهه بالسراج المنير لأن الله جلى به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به. وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب45 -46]: أي وأمرك ظاهر في ما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند.

مصباح الأرض : الشمس.. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا﴾ [النبأ:13]، ومصابيح السماء: النجوم.. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [المُلك:5] ، وسيأتي يوم يتغير فيه مطلعها ويتبدل حالها، قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"**.

---

(1) أخرجه أحمد .

وروي عن ابن عباس ﷺ : **(يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحًا دبورًا فتضرمها نارًا)** [1] .

مصباح البيت : الوالدان.. ونجومه الزاهرات: الأولاد.. وبيت بلا مصباح يعمه الظلام، وتنطمس فيه الصور الجميلة، كما أن بيتًا بلا نجوم يفتقد الجمال وتنقصه الزينة.. فبيت بلا أب كسفينة بلا ربان، وبيت بلا أمّ كقطار يسير على غير قضبان، وإذا فقد الأب ترملت الزوجة وتيتم الأولاد وضعفوا من بعد قوة وفقدوا بابًا عظيمًا من أبواب البر والإحسان، أما إذا ماتت الأم نادى المنادي.. ماتت التي كنا نكرمك من أجلها.

أما نجوم البيت الزواهر الغوالي -**الأولاد**- فهم فلذات أكبادنا وزينة حياتنا وثمر قلوبنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وهم كنزنا بعد الممات. وكما للآباء حقوق وللأمهات، فكذلك للأولاد حقوق وللبنات.

مصباح الجسم: العين.. وهما الحبيبتان إلى النفس، وهما بمثابة المصباح، وبهما يستضيء الإنسان ويبصر طريقه، ولذلك فقد بشر الرسول ﷺ من فقد نور عينيه فصبر بدخول الجنات، وتحدث الله عنهما كثيرًا في القرآن وامتن بهما فقال: ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ**﴾[البلد:8] . وجمع بينهما وبين القلب فقال: ﴿**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ**﴾[النور:37].

فالعين تبصر الظاهر والقلب يبصر الباطن، والعين تضيء الطريق أما القلب فهو يحدده ويهدي إليه، وإذا امتلأ القلب بالهدى والنور أنار مصباح العين الطريق إلى نظرة الرحمة والمحبة والتواضع، وسدّه في وجه نظرات الاحتقار أو الحسد أو تتبع العورات.

---

(1) رواه البخاري .

مصباح عمر: مصباح العدل والورع والرحمة، فقد كان لعمر بن عبد العزيز ﷺ مصباح يكتب عليه حوائجه ويستضيء به، ومصباح آخر لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين لا يكتب على ضوئه حرفًا لنفسه!

obeikandl.com

34

مفتـــاح

يوجد في المدينة التي أسكن بها مسجد عامر بذكر الله، لا يبعد كثيرًا عن بيتي، ذهبت إليه في أحد الأيام لأؤدي صلاة الجمعة، فهو وإن لم يكن بالكبير إلا أن فيه مكانًا ملحقًا به خاصًا بالنساء. قُضيتْ الصلاة، وانتشر المصلون في الأرض يبتغون من فضل الله، ورجعت قافلة إلى منزلي، وحدثت المفاجأة التي كانت بانتظاري، حيث فتشتُ عن مفتاح البيت دون جدوى، بحثت عنه مرارًا وتكرارًا فلم أجده وكأن يدًا خفية اختلسته أو أن الأرض انشقت وابتلعته! وهنا وجدت نفسي في الشارع، وشعرت بالحيرة، هل أمكث عند الجيران، أم أظل مكاني أمام البيت، أم أعود لتوّي من حيث أتيت بحثًا عن المفتاح وقد سُدت الأبواب في وجهي.. أحسست حينها بالنعمة التي غالبًا لا نشعر بها إلا إذا فقدناها، وتساءلت في نفسي.. أيمكن أن تكون هذه القطعة المعدنية التي تشكلت على هيئة مفتاح سببًا في فتح الأبواب المغلقة، وهل هي من الأهمية ببال حيث يتسبب فقدها في كسر لتلك الأبواب أو طول انتظار حتى يأتي فرج الله ويمنّ باسترداد الضالة والحصول عليها بعد ضياع؟ وهنا كان لا بد من وقفة. فإذا غاب عني ذلك المفتاح وعجزت عن إدراك مكانه أو تحديده دون بحث وتنقيب، فكيف بمن يدّعي معرفة علم الغيب ويتألّه بذلك على الناس ويخرج على البسطاء والجهال منهم بأقوال كاذبة وخزعبلات شركية مضلة وادعاءات باطلة من تنجيم وكهانة وقراءة الكف والفنجان، وكيف يصدّق البعض ذلك، وعلم البشر قاصر إذ لا يحيطون علمًا بكل ما يوجد في عالم الشهادة، فما ظنكم بعالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

مفاتيح الغيب: قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام:59].

وفي هذا يقول لنا رسول الله ﷺ: **"مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:34].

إن كل حدث يحدث للمرء منا في حياته يؤخذ منه عبرة وفائدة، وكل أمر من أموره خيرها وشرها يزيده ارتباطًا بمولاه، فيرى في نعم الله علينا منًّا منه وكرمًا وتفضلاً، ويرى في المحن منحًا وعطايا وهبات تذكره بالخالق العظيم الذي سخر له ما في السماوات وما في الأرض وكرم الإنسان وهداه.

تذكّر ذلك، وإذا ما أمسكَتْ يدك بمفتاح البيت فحافظ عليه، واعلم أن ثمة مفاتيح أخرى كثيرة في متناول أيدينا أنعم الله بها علينا احرص على أن تملكها، وتمسك بها، وعلى رأسها ذلك المفتاح العظيم الذي مَن فقده ضل وتاه في صحراء الحياة وكان في الآخرة من الخاسرين، وأُغلِق دونه باب الجنة، إنها مفتاح الجنة الحقيقي.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.. فانطقها خالصة من قلبك وتذكّر أن لها شروطًا ثمانية وهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض، والانقياد المنافي للترك، والقبول المنافي للرفض، والكفر بما يعبد من دون الله.

مفتاح الفضائل: الحياء.. قال رسول الله ﷺ: **"الحياء لا يأتي إلا بخير"**[1]، وقال: **"استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنا نستحيي يا رسول الله، قال: ليس ذلكم، ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ**

(1) رواه البخاري .

البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" [1] .

مفتاح الخير: الدعاء.. إذا ما أوصدت دونك الأبواب، فافتحها بمفتاح الدعاء واللجوء إلى الفتاح سبحانه وتعالى الذي لا يخيب من رجاه أو طرق بابه، واحرص على تخير الأوقات التي يسهل فيها فتح تلك الأبواب، كوقت السحر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وفي السجود، ووقت النداء، وساعة نزول المطر، وعند إفطار الصائم، وفي السفر، وغير ذلك من أوقات الإجابة، وتأكد أن سيفتح لك الباب فلا تعجل، وتأدب بآداب الدعاء ما استطعت من طهارة واستقبال قبلة مع رفع اليدين والتضرع، وعدم الاعتداء في الدعاء فلا تدعو بإثم أو قطيعة رحم، أضف إلى ذلك طيب المطعم والمشرب والملبس، ولا تنس حظ إخوانك المسلمين من الدعاء، وعند ذلك ستفتح لك أبواب السماء.

مفتاح القلوب:

أما إذا استغلقت عليك قلوب العباد فافتحها بطيب الكلام و **"الكلمة الطيبة صدقة"**[2] ، وببسمة حانية فـ **"تبسمك في وجه أخيك صدقة"**[3] ، وبإفشاء السلام **"أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"** [4] ، وبالهدية **"تهادوا تحابوا"**[5] .. **"تهادوا فإن الهدية تذهب وَحْرَ الصدر"** [6] .

مفتاح الرضا:

بر الوالدين.. قال رسول الله ﷺ: **"من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله"**[7] ، وقال: **"الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت**

(1) رواه الترمذي .
(2) رواه ابن حبان .
(3) رواه الترمذي .
(4) رواه مسلم .
(5) مالك .
(6) رواه الترمذي .
(7) رواه البخاري .

فأضع هذا الباب أو احفظه" [1] . فاحذر أن تغلق باب الجنة بالعقوق، فبرّك لوالديك مفتاح عظيم تفتح به أبواب الجنة وتنال به الرضا فحافظ عليه ولا تضيعه.

مفتاح الغنى :

القناعة واليأس مما في أيدي الناس وعدم الطمع هي مفاتيح الغنى، يقول الرسول ﷺ: **"ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس"** [2] ، ويقول: **"عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر"**[3] .

مفتاح الزيادة :

الشكر.. قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:7]، وجاء في الأثر: يقول الله عز وجل: **"أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي"**..

والشكر كما بينه ابن القيم رحمه الله : هو ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة، وهو مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه، وألا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.

هذه بعض المفاتيح التي يذكرنا بها مفتاح البيت، ولا زال في سلسلة المفاتيح الكثير، ومن مفاتيح الخير اكتنز واجمع، ومن الأشياء يعرف ضدها فاحذر مفاتيح الشر واكسرها وكن لهجرها من الداعين، وقد ذكر **ابن القيم** مجموعة من المفاتيح نذكرها لتمام الفائدة، فقال -رحمه الله- : وقد جعل الله لكل مطلوب

(1) رواه الترمذي .
(2) رواه البخاري .
(3) رواه الحاكم .

obeikandl.com

مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور.. ومفتاح الحج الإحرام.. ومفتاح البر الصدق.. ومفتاح الجنة التوحيد.. ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء.. ومفتاح النصر والظفر الصبر.. ومفتاح المزيد الشكر.. ومفتاح الولاية المحبة والذكر.. ومفتاح الفلاح التقوى.. ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة.. ومفتاح الإجابة الدعاء.. ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا.. ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه.. ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك.. ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب.. ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده.. ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى.. ومفتاح العز طاعة الله ورسوله.. ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل.. ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة.. ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.

obeikandl.com

35

مقرأة "حامل المصحف الشريف"

إنها تصنع من الخشب أو المعدن و تُذكِّر من يراها بالقراءة، وهي وإن كانت خشبية أو معدنية فمهمتها واحدة، ألا وهي حمل ما يوضع عليها من كتب لتقرأها بارتياح دون تعب أو ملل من حملها، لكن خير ما وضع وحمل على تلك المقرأة على الإطلاق هو كتاب الله عز وجل، لذا فإنك ما إن تراها حتى تتذكر في الحال المصحف الشريف الذي تحظى بطلتنا المقرأة بحمله بين دفتيها لتساعدك بذلك على أن تتلوه وترتله، بل وتحمله أنت الآخر في قلبك وتحفظه بين جوانحك!

يكثر استخدام المقرأة في مواسم الخير وأوقات التنافس في الطاعات التي من أجلّها وأعظمها تلاوة القرآن الكريم الذي يذكرنا بخير الشهور، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البقرة:185] . وقد فضل هذا الشهر المبارك بتنزل القرآن فيه، كما فُضلت خير لياليه وخُصت بأول نزول الوحي على رسول الله ﷺ فيها، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدْر:1] . وكان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة كما ذكر أهل العلم.

يأتي شهر القرآن فننعم بتلك المواسم المباركات واللحظات الطيبات التي تتجلى فيها عظمة الله تعالى ورحمته حين تتنزل الرحمات، وتغفر الذنوب، وتمحَى الخطايا، وتكفر السيئات، ولا سيما في العشر الأواخر منه.

فهل تتذكر شيئًا حين تمسك القرآن الكريم بيديك لتضعه فوق المقرأة وتمتع عينيك بالنظر لآياته وهو معك تحمله في أي مكان ذهبت وتقرؤه في أي وقت اخترت؟ إن هناك أناسًا كرّمهم الله فكانوا سببًا لوجود هذا المصحف كما تراه الآن، وما فتئ قوم يسهرون ليلهم ويصِلونه بالنهار ليصلني أنا وأنت هذا القرآن العظيم لنتعلمه ونقرأه ونسمعه غضًا كما أنزل على رسول الله ﷺ ، جزاهم الله عنا خيرًا.

لقد قبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في الصحف ولم يجمع في مصحف واحد. قال الخطابي: (**إنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر**).

لذلك أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، وكانت كتابته غاية من التثبيت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. ثم جمع في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه مرة أخرى وذلك لما اتسعت الفتوحات الإسلامية وتفرق القراء في الأمصار وكثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدي ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضًا، ومنعًا للفتنة وحسمًا للخلاف نسخ سيدنا عثمان الصحف التي كانت عند أبي بكر في مصحف واحد مرتبًا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجًا بأنه نزل بلغتهم. وهكذا وصل إليّ وإليك الآن هذا المصحف الشريف بلا سابق عناء منا في الحصول عليه بهذه الصفة، وقد أختارُ منه الحجم الذي يناسبني وهذا من فضل الله علينا وتيسيره فإن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا يسر له أسباب الخير، وهاهوسبحانه وتعالى قد يسر للكثير منا الحصول على أعظم الخير وسبب الخير كله ألا وهو كتابه الكريم لننهل منه تلاوة وحفظًا، وتعلمًا وتعليمًا، وتدبرًا وفهمًا، ودستورًا ومنهجًا، وتحاكمًا وعملاً.

ورمضان فرصة للعودة للقرآن والتصالح معه وطلب صحبته والحرص عليها، وإننا لو نظرنا إلى السلف الصالح وتعاملهم مع القرآن في شهر رمضان لعرفنا كم نحن مقصرون، ولسهل علينا العمل، وعلى سبيل المثال لا الحصر: كان الزهري إذا دخل رمضان يقول : (**إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام**)! وكان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف. وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخير منه في كل ليلة. وكان إبراهيم النخعي يختم القرآن الكريم في رمضان في كل ثلاث ليال، وفي العشر الأواخر في كل ليلتين. وكان الأسود يقرأ القرآن الكريم كله في ليلتين. فكان هذا اجتهادهم في الشهر الكريم إذ أنهم عرفوا أهمية العمل في هذه الأوقات فلم يضيعوا منها لحظة فالكل في سباق مع الزمن يخشى فواته وخسارته لذا فقد أنسوا بصحبة القرآن الكريم وألفوها فتفاعلوا مع آياته وكان خير جليس لهم وأنيس .

obeikandl.com